2- بين بصرة المشرق وبصرة المغرب

الاستاذ: عبد العزيز بن عبد الله

الاستاذ فى جامعتى القرويين ومحمد الخامس عضو اكاديمية المملكة المغربية ومجامع بغداد وعمان والهند

ان بصرة المشرق بالعراق وبصرة المغرب فى اقصى غرب الشمال الافريقى المطل على المحيط الاطلنطيكى — تعتبران الطرفين الاساسيين فى المسار التاريخى الذى وحد العروبة من الخليج الى المحيط .

وقد كانت بصرة العراق أول معسكر اسلامى فى غرب (الأبلة) (1) ومركزا حضاريا هاما نظرا لثرائه وموقعه الجغرافى الذى ساعده على الاحتكاك بالحضارات المختلفة حيث برز كصلة وصل بين الكثير منها فى الشرق والغرب وكانت مهبطا لرواد العلم والتجارة تجمع فى رحابه نصف مليون نسمة، وكان من رجالاتها الانفاذ الذين اثروا الفكر العربى وتركوا بصمات فى المغرب والاندلس الحسن البصرى والجاحظ وسيبويه والفراهيدى والاخفش (2) وواصل بن عطاء المعتزلى وقد ظلت مركزا فكريا وحضاريا الى تأسيس بغداد فكانت منطلقا للصراع بين الامام على بن أبى طالب وخصومه ولكنها احتفظت بطابعها السنى بينما أمست مدينة الكوفة شيعية النزعة وقد اكتسحها القرامطة عام 311 هـ / 923 م وانهارت كثير من معالمها أواخر القرن الخامس، وهكذا ظلت أربعة قرون مركزا تجاريا وصناعيا وفلاحيا تنحدر اليها القوافل من حواضر العالم العربى والاسلامى وكان ميناؤها النهرى مربطا ومرسى للسفن ذات الحمولة الصغرى.

أما بصرة المغرب فهى مدينة إدريسية تقع على بعد نحو اربعين كلم من المرجة الزرقاء او مولاى بوسلهام التى سماها (ابن حوقل) بحيرة (اريساق) (المسالك — طبعة ليد 1873 ص 56) ووصفها (ياقوت) ملاحظا انها مربط للمراكب على بعد مرحلة من فاس (مراصد الاطلاع على اسماء الامكنة والبقاع) (خمسة اجزاء — ليد — 1852 — 1869 م/م.1 ص.131) وكانت مرسى للبصرة من حيث ينقل اهلها السلع وكذلك اهل مدينة (بياتة) وهى (كورت) أوحد كورت التى يسميها ابن خلدون (بياتة) .

ولعلها بنيت مع اصيلا على يد المولى ادريس الثانى كمصطاف على ما يلوح للملوك الادارسة وانضمت الى مملكة طنجة تحت امرة القاسم ثم صارت حوالى 347هـ / 958 م إبان غزو جوهر الصقلى للمغرب عاصمة دويلة ادريسية صغرى تقاوم الزحف الشيعى مثل بصرة الشرق وتشمل الريف وغمارة بامارة (الحسن بن كنون) ثم استولى عليها (الحكم الثانى) ملك قرطبة عام 363 هـ / 973 م واستقر بها بعد ذلك (يحيى بن حمدون) قبل ان يطرده منها (بلقين بن زيرى) الذى هدم معالمها وقد تحدث كل من ابن حوقل والبكرى فى القرنين الرابع والخامس عن ابوابها وحماماتها وجامعها وحدائقها ومراعيها ومزارع القمح والقطن بها خلافا للمقدسى الذى وصف انقاضها (ترجمة « بيلا » ص 27) .

---

1) هي غير الأبلة Avila الواقعة شمالى مدريد (على بعد 113 كلم منها) ومنها ابو عبد الله الأبلى شيخ ابن خلدون (المن بالامامة لابن صاحب الصلاة ص 380) .

2) صاحب سيبويه (حسب المبرد — مجالس العلماء ص 163) .

وقد حدثنا ابن حوقل عن (وادى سفدد) وهو (اللكوس) وعن رافديه الوارد احدهما من « دنهاجة » والآخر من ناحية البصرة كما تحدث البكرى عن البصرة فذكر انها كانت تسمى (الحمراء) فى عهده محاطة بسور بعشرة ابواب ومسجد وحمامين وماؤها غير قراح وفيها دفن القاسم الادريسى وخلفاؤه ابراهيم والحسين والقاسم وقد استوطنت المدينة جالية اندلسية وهكذا يظهر أن بلقين لم يهدم المدينة تماما وانما قوض اسوارها لانها لم تعد مدينة محصنة ولكن التجارة ظلت مزدهرة بقطنها وكتانها وورثت ميناء العرائش مرسى سيدى بوسلهام وقد اشار (ياقوت) (ص 157) الى انها اصبحت مهدمة فى عصره كما اعطانا « ابن عذارى » لائحة عن حكام البصرة كعاصمة اميرية. وفى القرن العاشر وصفها الحسن الوزّان كحاضرة متوسطة المساحة من الفى « كانون » (كناية عن العائلة الواحدة ومعناه المطبخ) كما وصف « مارمول » بعد ذلك جدرانها المهدمة وبقايا قصورها ومساجدها (ج 2 ص 215) وهى بالنسبة لهما مصطاف امراء فاس اما (تيسو) (Tissot) فانه لم يجد فيها فى القرن الماضى سوى احجار منتثرة فوق الارض وهى تقوم الآن على بعد 18 كلم شمالي شرق (سوق اربعاء الغرب) بسورها الحجرى وحده بعد ان انمحت نهائيا منذ القرن الثانى عشر الميلادى .

وتعرف ببصرة الكتان لانهم كانوا يتبايعون فى بدء أمرها فى اكثر تجاراتهم بالكتان وتعرف ايضا بالحمراء لانها حمراء التراب وكان سورها مبنيا بالحجارة والطوب ولها عشرة ابواب وللجامع سبع بلاطات وبها حمامان كبيران . . . ونساء البصرة مخصوصات بالجمال الفائق والحسن الرائق ليس بأرض المغرب اجمل منهن . . واسست فى الوقت الذى اسست فيه (ازيلا) او قريبا منه ومنها الى (قصر كتامة) وهو « قصر عبد الكريم » مرحلة ومنها الى مدينة (جنيارة) مرحلة وقيل انها كانت قرية على (وادى سبو) (البيان لابن عذارى ج 1 ص 133 — 134) .

وهادم البصرة هو ابو الفتوح صاحب افريقية من قبل العزيز بالله عام 368 هـ (البيان ج.1 ص.330) محا رسمها بعد طول مدتها وكثرة عمارتها لم يعوزه من بلاد المغرب سوى سبتة وكان فى البصرة عمارة عظيمة بالاندلس والبربر (ص 330) .

وذكر (ابن حوقل) ان بينها وبين « الاقلام » اقل من مرحلة ومن « تشمس » كذلك وللبكرى بين فاس والبصرة اربعة ايام (معجم البلدان ج.4 ص. 440) فهل البصرة هى (باتاسا) او Valentia ؟ (بلاد المغرب للبكرى — طبعة الجزائر 1911 ص 111 / معجم البلدان (مادة بصرة) .

(البصرة عاصمة الادارسة ومرساها) .

(المدن الاسلامية بافريقيا الشمالية) — احمد المكناسى ص 9 / وصف افريقيا للادريسى ص.109 / تاريخ ابن خلدون ج.6 ص.156 .

(البيان المغرب) ج.1 ص.133 و 330 /

(الحلل السندسية) ج.1 ص.66 .

واكد ابن حوقل انه منذ القرن الثالث الهجرى اصبحت الوشائج موصولة بين المغرب والاندلس من جهة والمشرق من جهة اخرى عن طريق القوافل التى كانت تنحدر من قرطبة لتمر ببصرة المغرب ثم سجلماسة فتنطلق عبر شواطىء (بحر القلزم) الى اليمن ثم الخليج وبصرة العراق ثم بغداد .

وكان هذا المسار الاقتصادى بين البصرتين موقعا لكثير من البادرات التى سبقت الفكر المعاصر من ذلك ما حكاه ابن حوقل (المسالك والممالك ص 70) انه راى « صكا » فيه ذكر حق على رجل من اهل سجلماسة لرجل آخر من اهلها بأربعين الف « دينار » ثم قال : « وما سمعت بالمشرق لهذه الحكاية نظيرا ولقد اخبرت بها بخراسان والعراق فاستظرفت » .

وقد عرفت بصرة المغرب رجالات افذاذا طبق صيتهم الشمال الافريقى امثال محمد المكناسى الذى صنف اعظم فهرس عرفه المغاربة فى نحو اربعين كراسة وسعيد بن خلف الله بن ادريس بن سليمان الزناتى البصرى (المدارك ص.333) وعثمان بن سعيد بن حمادة البصرى « ص.333 » وابراهيم بن احمد السبتى ويحيى بن خلف السبتى الصدفى البصرى (ابن الفرضى ج 2 ص 61) والعربى بصرى « 1148 هـ » (تاريخ الضعيف ص.110 خ) وعمران بن عبد الله العمرى البصرى .

وحفصة بنت السلطان مولاى عبد الرحمن بن هشام العلوى التى كانت تقرأ القرآن برواية البصرى بالاضافة الى قراءة (ورش) التى كان يتقنها الكثيرات.

وقد حظيت (بصرة الشرق) بدراسات مغربية تبلورت فيما كتب عن البصرة ورجالاتها منها :

1) (كتاب النصرة فى تحقيق قراءة امام البصرة) لعبد الرحمن ابن القاضى (1082 هـ / 1671 م) (خمس نسخ فى الخزانة الملكية بالرباط (من عدد 887 الى 6296).

2) الجاحظ : (255 هـ / 869 م).

فرج بن سلام القرطبى هو الذى دخل العراق فلقي الجاحظ واخذ عنه كتاب « البيان والتبيين » وغير ذلك من مكتوباته وادخلها الاندلس (تاريخ علماء الاندلس لابن الفرضى — طبعة مجريط 1890 م/ص. 286).

وقد اختصر أبو بكر بن عاصم عبد الله بن حسين ابن ابراهيم (بن عاصم) القرطبى والي الشرطة (403 هـ / 1013 م) كتاب « البيان والتبيين ».

(التكملة ص 444 / النفح ج 4 ص 231).

ومن مظاهر اهتمام البادية المغربية بكتب الادب العربى النادرة أو التى ربما فقدت اليوم فى العالم العربى كتاب للجاحظ عثر عليه فى مكتبة (بُزُو) وهى مدينة صغرى فى وسط المغرب وهذا الكتاب هو « كتاب البرصان والعرجان والعميان ».

وقد اصبح لقب (الاخفش) متداولا فى الاوساط العلمية بالمغرب والاندلس يتحلى به كبار العلماء أمثال الشريف الادريسى ابو الحسن على بن محمد الاخفش النحوى المغربى (الذى كان حيّاً عام 452 هـ) (3).

والاخفش الاندلسى هو أبو الاصبع عبد العزيز بن احمد المغربى النحوى روى عنه ابن عبد البر كان حيا عام 309 هـ (تاريخ الاندلس للحميدى) (بغية الوعاة ص 307).

والاخفش البلنسى ابو القاسم خلف بن عمر الشقرى (المزهر ج 2 ص 454).

ونختم بنموذج ءاخر كان له أوسع الاثر واعمقه فى الديار المغربية هو الاستاذ سيبويه فقد اهتم المغرب والاندلس بسيبويه و« كتابه »كمصدر من ابرز مصادر علم النحو فى اللغة العربية ويهمنا فى هذا البحث خاصة أن تبرز مدى تفاعل سيبويه مع نحاة المغرب والحركة القوية التى هزت رحاب هذا العنصر الحيوى من علوم الآلة العربية وقد يضيق نطاق هذه المجالة اذا حاولنا تتبع نشاط اعمدة هذه الحركة.

واذا كان القرن الرابع الهجرى قد بدأ يمتاز بنوع من الفنية المصطنعة ابعدته تدريجيا عن سليقة القرون الثلاثة الاول فان جانب الشكليات فى النحو امسى اشد طغيانا الى حد أن هذا العلم اصبح يعتبر فنا فى ذاته لامجرد وسيلة لتقويم اللسان من أود اللحن وقد ظهر فى هذا القرن ابو القاسم ابراهيم بن عثمان ابن الوزان (4) شيخ المغرب فى النحو واللغة القيروانى الاصل الذى لم يبدع جديدا فى هذا المجال وانما برز فى « حفظ » كتاب سيبويه والمصنف الغريب وكتاب العين وغيره كما ظهر فى نفس الفترة ابو بكر محمد ابن الحسن الزبيدى الاشبيلى (5) فحاول تحقيق نوع من التوضيح والتبسيط لتعقيدات النحو فى كتابه « الواضح فى النحو » (6) وكانت انتفاضته لغايتين اثنتين يستهدف كلاهما تقويم اللسان عن طريق اصلاح اللغة والنحو ولذلك كان كتابه « لحن العوام » اول محاولة فى المغرب والاندلس لتبسيط المقول مبنى ومعنى . ولم يخل هذا

---

3) ارشاد الاريب ج 15 ص 57
(لقبه السيوطى بالمغربى فى المزهر/ج. 2 ص. 454 / بغية الوعاة ص.436).
4) المتوفى عام 346 هـ — 957 م (العبر للذ هبى ج.2 ص. 271)
5) المتوفى عام 379 — 989 م (اليتيمة للثعالبى ج 1 ص 409)—(تاريخ بروكلمان ج 1 ص 140)—/ (بغية الوعاة ص 34 — بغية الملتمس ص 56) —(ابن الفرضي ص 383 — الشذرات ج 3 ص 94)— (جذوة المقتبس ص 43)—(الوفيات ج 1 ص 514)—(المغرب فى حلى المغرب ج 1 ص 250).
6) توجد نسخة منه فى مكتبة الاسكوريال عدد 197 .

القرن الرابع من نحاة تقليديين ساروا على النهج مع حفظ وضبط وتحقيق ومن بينهم برابرة مثل احمد بن عبد العزيز بن فرح ابن ابى الحباب المصمودى القرطبى المتوفى عام 400 هـ / 1009 م وكان من جلة شيوخ الادب واللغة .

وهكذا سار معظم النحاة على هذا المنوال تصاراهم الشرح والتمحيص كابن يسعون يوسف بن بيقى صاحب الاحكام فى المرية الذى صنف كتاب « المصباح » فى شرح ابيات الايضاح للفارسى فى النحو وكان الشرح ينصب احيانا على « كتاب سيبويه » الذى شغل الفكر باثارة الاعجاب تارة والنقد تارة اخرى ومن هؤلاء ابن ابى الركب ابو بكر محمد بن مسعود الجياتى الذي وضع شرحا للكتاب (7) كما شرحه ابن البادنش علي بن احمد بن خلف الغرناطى (528 هـ/1133 م) (8) بالاضافة الى شرح كل من اصول ابن السراج والايضاح لابى علي الفارسى الذى كان مدار شروح كثيرة منها شرح ابن باق محمد بن حكم ابى جعفر السرقسطى الذى ولي الاحكام وافتى بفاس (538 هـ) (9) .

وهنا ظهر نوع من التخصص ادق وخاصة حول فكرة بدات تشغل بال النحاة فى المغرب والاندلس بعد ان استسلموا ردحا من الزمن لما وضعه سيبويه من قواعد وانماط وهذا المشكل هو مشكل العامل فى الاعراب حيث اقترن هذا الاتجاه باتجاه جديد عرفه الغرب الاسلامى وهو الاجتهاد الذى بدات سماته الجذابة تطبع كل مناحى التفكير وخاصة فى الاصول والخلاف العالى والفقه والعقيدة وكان ذلك من ديول الابداع الفلسفى والعلمى الذى انطلق من بلاط المرابطين والموحدين فى مراكش الحمراء خلال القرن السادس حيث ظهر امثال ابن رشد وابن طفيل وبنى زهر وتساوق البحث العلمى التجريبى بتبادل عدوتي البحر المتوسط الشمالية والجنوبية من قرطبة الى فاس ، وهكذا ظهر ابن مضاء احمد بن عبد الرحمن بن سعيد القرطبى نعمد — استجابة لراي الموحدين المتزعمين لحركة الاجتهاد — الى محاولة نقض كتاب سيبويه فصنف ثلاثة كتب هى :

1) (المشرق فى النحو) .
2) (تنزيه القرآن عما لا يليق بالبيان) .
3) (الرد على النحاة) .

وقد لاحظ على سيبويه انه بنى علم النحو على ان الكلمة ترفع وتنصب وتخفض بعامل فان لم يكن العامل ظاهرا اولوه كما حاول الدلالة على ان الذى يصنع الظواهر النحوية فى الكلمات من رفع ونصب وجر انما هو المتكلم نفسه لا ما يزعمه النحاة من الافعال وما شاكلها وقد اشار (10) ابن جني فى « الخصائص » الى هذه النظرية ولكن ابن مضاء وسعها واوضحها وقد جر التاويل الى علل و اقيسة تكون احيانا غير مقبولة (كما لاحظ ذلك احمد امين) والواقع ان ابن جني هو اول من انكر العامل فلاحظ ان فعل ضرب مثلا انتهى بمجرد النطق به فلا يمكن ان يكون عاملا فى زيد او عمرو الخ . .

وهنا بدا الصراع يحتد حول « كتاب سيبويه » فكان من جملة انصاره شخصان هما :

اولا : ابو بكر الخدب محمد بن احمد بن طاهر الاشبيلى الفاسى .

ثانيا : ابن بلبخت عيسى بن عبد العزيز الجزولى المراكشى فاما الخدب فقد كان رئيس النحاة بالمغرب فى عصره بلا مدافعة (11) وقد بذل جهدا مشكورا فى الدفاع عن « كتاب سيبويه » وافهام اغراضه وكان دفاعه مخللا بملاحظات قيمة بسطها تلميذه ابو الحسن ابن خروف فى شرحه لكتاب سيبويه وقد تتلمذ له النحاة فى الشرق حيث ناظر بمصر كبير النحاة عبد الله بن برى وكبير النحاة بدمشق ابا اليمن زيد بن الحسن الكندى فحكم الحاضرون بان ابا بكر الخدب اعرف من ابى اليمن بكتاب سيبويه وان كان ابو اليمن انبه نفسا وقد تصدى الخدب الفاسى لتدريس الكتاب فى البصرة

---

7) طبع بالقاهرة اخيرا .
8) كتاب الصلة لابن بشكوال طبع مجريط ج 1 ص 20 (عام 1822) .
9) المتوفى عام 542 هـ — 1147 م (بغية الوعاة ص 424 — كشف الظنون ص 213 — ومنهم ايضا عبد الرحمن بن عبد الله بن احمد السهيلى النحوى المتوفى عام 581 هـ (العبر) .
10) ظهور الاسلام لأحمد امين ج 3 ص 96 / ج 2 ص 118 .
11) الذيل والتكملة لابن عبد الملك م 5 ص 650 .

عاصمة النحاة ومن فضل الخدب ان زعامته فى النحو لم تعفه من امتهان حرفة الخياطة (12) لأن الاحتراف كان ديدن العلماء بالمغرب والاندلس كما كان شنشنة كبار رجالات الفكر بالشرق (13).

وكانت بعض قرى الاطلس البربرية مثل اغمات وتينملل فى هذا العصر مركزا انطلق منه بعض كبار النحاة مثل التينملى عثمان بن سعيد بن عبد الرحمن بن احمد برتولو الذى سمع بمصر ودمشق (14) كما حفلت السهول بنحاة جهابذة امثال سحنون عبد الرحمن ابن عبد الحليم بن عمران ابى القسم الاوسى الدكالى (نسبة الى دكالة) المالكى المقرىء النحوى الذى كان إماما ورعا (توفى عام 695 هـ — 1295 م) (15)، ومن ابرز تلامذه الشلوبين ابن عصفور على بن ابى الحسن بن مومن بن محمد الحضرمى الاشبيلى الذى سكن (انفا) (الدار البيضاء الحالية بالمغرب) ومراكش وتونس حيث توفى عام 669 هـ (16) وكان خاتمة اقطاب النحاة (كما قال الشاعر : بدا النحو علي وكذا ختم النحو ابن عصفور علي) ، وقد شرح كتاب سيبويه .

ومما يبرز قوة نشاط حركة البحث فى مجال النحو فى المغرب العربى فى القرنين السادس والسابع انه لم يكد ينتشر كتاب المغرب لابن عصفور حتى تصدى له بلدية صاحب المقصورة حازم القرطجنى ابن محمد بن حسن التونسى (المتوفى عام 684 هـ / 1285 م) (17) فانتقده فى كتابه « شد الزيار على جحفلة الحمار » وقد انتقد ايضا (مغرب) ابن عصفور ابن هشام الجزيرى فى كتابه « المنهج المغرب فى الرد على المغرب » .

ومن ائمة صناعة العربية الذين تصدوا لالقاء محاضرات حافلة باشبيلية وفاس ومراكش اواخر القرن السادس ابن خروف علي بن محمد بن علي بن محمد الحضرمى الاشبيلى ضياء الدين (18) الذى صنف شرحا لكتاب سيبويه سماه « تفتيح الالباب فى شرح غوامض الكتاب » قدمه الى الناصر الموحدى فى اربعة مجلدات.

وممن شرح كتاب سيبويه والجمل للزجاجى ورد على ابن عصفور فى هذه الآونة ابن الضائع علي بن محمد ابن علي بن يوسف الكتامى الاشبيلى (19) .

وقد برز فى القرن الثامن كذلك نحاة افذاذ واصلوا شرح آراء زملائهم حول توانين « كتاب سيبويه » ومن جملتهم :

— ابن الفخار محمد بن علي الجذامى الاركشى (20) الذى شرح مشكلات سيبويه وقوانين الجزولية .

— ابن آجروم محمد بن محمد بن داود الصنهاجى البربرى المتوفى عام 723 هـ / 1323 م صاحب المقدمة المشهورة بالاجرومية (طبعت مرارا بفاس ومصر) .

وختم هذه السلسلة لا فى المغرب العربى بل فى العالم العربى كله رجل من غمارة (مصامدة الريف) هو

---

12) جذوة الاقتباس لابن القاضى ص 168.
13) راجع بحثنا حول العلماء الحرفيين فى مجلة «اللسان العربى» (المجلد العاشر).
14) توفى عام 605 هـ / 1208 م (درة الحجال ج 2 ص 419 طبعة الرباط 1354 هـ — 1936 م)
15) « شذرات الذهب ج 5 ص 431 » .
16) قيل انه توفى عام 659 هـ/1260 م « عنوان الدراية ص 188 » / فوات الوفيات ج 2 ص 93 / — شذرات الذهب ج 5 ص 330 — وفيات ابن قنفد (ذكر انه توفى عام 667 هـ) — كشف الظنون ص 1822 — بغية الوعاة ص 357 — ملحق بروكلمان ج 1 ص 546 — صلة الصلة ص 142 .)
17) راجع ترجمته فى «تاريخ الدولتين» وبغية الوعاة ورحلة العبدرى ورحلة ابن رشيد وله قصيدة فى النحو.
18) المتوفى عام 609 هـ / 1212 م (وذكر المقرى فى النفح انه توفى بحلب عام 603 هـ او 605 هـ — الاعلام للمراكشى ج 7 ص 12 (خ) و ج 6 ص 152 «خ» — جذوة الاقتباس ص 307 — ابن خلكان ج 1 ص 343 — فوات الوفيات ج 2 ص 79 — ارشاد الاريب ج 5 ص 420 (ذكر انه توفى عام 606 هـ).
19) المتوفى عام 680 — 1281 م « بغية الوعاة ص 354 » — الاعلام للزركلى ج 5 ص 154/راجع ترجمة الخشنى فى السلوة ج 3 ص 291 —) الذخيرة السنية ص 44 — زاد المسافر ص 105 .
20) اركش بالاندلس توفى بمالقة عام 723 هـ — 1323 م « بغية الوعاة ص 80 — الدرر الكامنة ج 4 ص 1 » .
20) اركش بالاندلس توفى بمالقة عام 723 هـ — 1323 م (بغية الوعاة ص 80 — الدرر الكامنة ج 4 ص 1).

محمد بن محمد بن علي بن عبد الرزاق الغماري المصري (21) الذي انتهت اليه رياسة علوم العربية في زمانه وتفرد على رأس المائة الثامنة في النحو حسب السيوطي في طبقاته وهو تلميذ أبي حيان لازمه ودرس ببيت المقدس ومكة والاسكندرية .

والواقع ان العلماء النظار في النحو وغيره بدأوا يقلون في القرن الثامن كما لاحظ ذلك شاهد عيان هو ابن خلدون (22) فاتجهت الهمم الى الفروع بدل الاصول وقل النزوع الى الاجتهاد والابداع أو تفصيل ما اجمل في المدونات .

وكان التضلع بكتاب سيبويه هو مدار التخصص في النحو فكان النحاة ينقدون كل انتاج جديد على ضوء قواعد « الكتاب » وحتى في أوائل القرن الماضي بلغ هذا النوع من التضلع مبلغا حدا العلماء الى تلقيب العلامة محمد بربيش (1316 هـ / 1898 م) (23) بسيبويه لمهارته الفائقة في النحو حفظا وذوقا . واذا كانت الدراسات والابحاث النحوية قد تركزت حول الزجاجي وابن مالك وابن أجروم فان بعض خلفهم كانوا أكثر تخصصا كمحمد العطار المراكشي الذي كان أنحى من ابن مالك (24) وقد اتسع نطاق هذه الشروح فشملت الشرق العربي واقاصي البلاد الاسلامية .

وهكذا استوثقت الوشائج والصلات العريقة بين شقي العروبة من خلال البصرتين في أعمق مظاهرها وأعرق مجاليها .

---

21) توفي بالقاهرة عام 802 هـ — 1399 م (الضوء اللامع ج 9 ص 149 — شذرات الذهب ج7 ص 19 — نيل الابتهاج ص 281 .

22) راجع كتابنا « تطور الفكر واللغة في المغرب الحديث (ص 143) حيث أبرزنا مظاهر الضلاعة والمشاركة والعمق عند علماء المغرب في هذا القرن في مختلف المجالات العلمية .

23) من اعلام الفكر المعاصر ج 2 ص 102.

24) الاعلام للمراكشي ج 5 ص 49 .